عصفورة الشّجن

سارة عزام

ساره عزام

نصوص نثرية و شعر نثري

إهداء

إلى والدي الذين ربياني على حب الخير للغير وعلى العطاء.

إلى أخواتي غنوة الدكتورة ومن كان مثلي الأعلى منذ الصغر وغيداء صاحبة الصوت الحنون.

إلى أخي الوحيد زهير الغالي.

إلى صديقتي المقربة مروة والبعيدة في المكان والقريبة من القلب.

إلى الاستاذ والصديق حسن، من ترك أثراً كبيراً في داخلي وأعطاني لقب بودلير وهو شاعر فرنسي مميز بالوصف.

إلى كل من شجعني ولو بكلمة لطيفة إليكم جميعاً أهدي كتابي هذا.

الكاتبة ساره عزام.

التمهيد

في قرية صغيرة، ولدت صاحبة هذا الكتاب، بصيف قليل الحرارة بأول حزيران من عام 1999.

كتبت كلماته وسطوره بكثير من الدموع،

بسعادة غامرة قلبها، بجوزائية الطباع.

بقلب مؤمن بخالق عظيم أنها ستصل إلى حلمها.

وسط ظروف مؤلمة وغامضة في نفس الوقت ومواقف كثيرة علمتها وصقلت شخصيتها.

كثير من الأحيان توقفت الكلمات في حنجرتها ودموعنا كانت الشاهد الوحيد، وبأحيان أخرى يأتيها فيض من الكلمات خطته على الأوراق حتى جفت أقلامها.

أتمنى من كل قارئ عند انتهاءه من قراءة الكتاب أن يرسل لي رسالة عبر فيسبوك ويقول لي ما هو أكثر نص أثر فيه ولامس قلبه.

بقلم ساره عزام

العنوان: شخص افتراضي

يختلف الحديث بين المسرح والكواليس.. أيضاً يختلف الحديث بين الواقع و مواقع التواصل الاجتماعي وعند إجراءك لمكالمة هاتفية يمكن أن يحدث لغط لغوي أو شرخ ما بين القول والمعنى.

ببداية الحديث الإلكتروني .. نجعل الألفاظ سهلة ومرتبة فكرياً لتصل للقارئ بوضوح، ولكن عندما نصل إلى صلب الموضوع ويتبادر إلى صديقك بعض الأسئلة من شدة فضوله لمعرفة النهاية وفحوة الكلام، وبعد ذلك يقوم بطرح سؤالاً عليك ..!!.هنا تبدأ رحلتك الشّاقة.. ؛ تطفو الأفكار على سطح ذاكرتك و تختلط مع أفكار أخرى.. فمن الممكن أن يحصل ذلك و ربما لا. وفي أكثر الأحيان يصلُ بك الأمر إلى ازدحام مروري للأفكار فيتصاعد تدريجياً إلى أن يفضي بك لحادث كلامي مُريع أو ربما طريف ومن ثم إلى اصطدام سيارتين من الجُمل.. اسميّة كانت أم فعليّة..لا يهم و مفردات من الجمع والمُفرد معاً .. ..

وبعد ذلك يبدأ صفير صفارات الإنذار على هيئة إشارات استفهام و تعجب لإبعاد العامة عن مكان الحادث بسبب زيادة سرعة تواتر الصوت والأفكار .. مع العلم أن السيّارة المحملة بالجُمل.. حركت المقود إلى الخلف و توقفت .. ..

فكانت الأضرار ما يلي : تلعثُم بالكلام و فرط مفردات وتوقف لحظي عند مطب بعض الجمل الاستفهامية.

العنوان : بعيد

ماذا عن ذاك البعيد الذي ابتعد ولم يعد، والشوق في قلبه ليس له حد. داعيا ً إلى الله أن يلتقيا في محض صدفة..اليوم أو غد أو بعد سنين لم تعد، ليلتقيا من غير قصد.

ماذا عن الحنين الذي شتت أعماقه ؟

أيعود من بعد كل ذلك البعد أم يبقى من حيث أتى.

في الحقيقة نحن لا نشفى من ذاكرتنا؛ ولهذا نحن نكتب، لهذا نحن نحن نرسم ولهذا يموت بعضنا أيضاً

العنوان : دموع محرقة

في اليوم الذي تذكرت فيه أن أضع مقوي الرموش، قررت وضعه قبل النوم.. لا في منتصف النهار، كي لا ألمس عيناي سهواً، وتدمع وتحرق من السائل اللاذع؛ فعمدت إلى وضعه وأنام باكراً.

لكن كان ذلك الزيت أقوى مني واحرقني خلسةً. بكيت ساعتها كثيراً ودموعي خادعةً نفسي، لمجيء الذكرى كصفعة ثلج على خد دافئ في أول ثلج شتاء بارد قارس، توقعت أن تأتي بالتدريج وبأقل برودة.

لكن بتلك الصفعة أحسست ببرد شتاء كامل قبل أن يأتي الفصل بعد.

العنوان : حنين

كانت تتعمد ارتداء درع النسيان كي لا يخترقه رصاص الحنين. ما إن تذهب لتكمل حياتها بسلام، تعيشها بحلوها ومرها، إذ برصاصة طائشة تقنصها لتلوع في قلبها الرقيق.

لا بأس منها أن تأتي فجأة، لكن الأصعب هو جريان نبع الأشواق الذي عبر ذاكرتها ليصب في محيط القلب. فبين الحين والآخر يفيض آلاماً.وهيهات أن يكون هناك سدود نحفظ بها ماء الشوق كي لا ترجع ثانيةً إلا بعودة المتعطش.

العنوان: محيط أفكار

عندما نكون غارقين في بحر التفكير، غالباً مانستطيع العودة مسرعين إلى شواطئ اليقظة.لكن ما إن ألقتنا الأمواج على الشط عائدين إلى صحوتنا لبضع دقائق، لبضع ساعات، بعدها يخطفنا البحر عنوةً بألسنة أمواجه إلى عمقه ويوقعنا أرضاً.

العنوان: مدرسة الحياة

غالباً تتلقفنا الكلمات والامتحانات من مدرسة الحياة وتنزل على رؤوسنا مثل حبات البرد.

في البداية تصيبنا بالقشعريرة ما إن نتعود على برد الشتاء، نبدأ بارتداء معاطف الدروس، كفوف المواجهة، قبعة صد الصدمات، أحذية التجاوز وحقائب التجارب.لكن منا من يعود مرتدياً معطف من الخوف وتبقى أضراس البرد تقضمه طوال حياته على الرغم من توفر وقود المعرفة، ومنا من يرجع مرتدياً ثوب مواجهة المصاعب.

العنوان: حسن ألُقدّ

كان من فرط الكتمان، يخشى نسيان مايريد البوح به أو جهله كيف يبوح بالذي يضنيه.

أصبح مهشم الصوت، حتى تعابير وجهه صامتة، هادئة تندد بالسلام؛ لكن هيهات أعماقه أن تكون بسلام.

كان يتكلم عند الضرورة وفي حديثه حذر، ورع ،وجع وفقر؛ فعند ابتسامته تضفي ملامحه نفحة غامضة من الحزن والوهن ،وبالرغم من ذلك يبتسم ابتسامة المنتصر.

العنوان : أنتِ كُلّي

قبل بضعة شهور، كانت تبكيه نثراً وكان يكتبها بكل ما تحمل كلماته من مشاعر، فنحن نبكي من نحب بالوسيلة التي تكشف أعمق نقطة في جوارحنا.

ذات ليلة، قال لها : عندما أنظر إلى عينيك أثمل ولا يكون عندي متسع من الوقت لأكتبك.

لكن سننجو معاً وسنموت معاً.أنا لا شيء وأنت كل شيء.

حين يأخذونك مني فيعني أنهم أخذوني مني.

هم البعض وأنت كلي.

العنوان: حرب مسلوبة الراء

كل لقاء ينظر إليها بتمعن بالغ، يحدق في عينيها حتى يجعلها تتكركب من فرط نظراته الساحرة لها. لمسات يده الحنونة كانت تلامس جدران قلبها من شدة نعومتها. حينما يمرر يده على خصلات شعرها بكل تأن، ويمرر أنامله على خدها المتورد، تصبح مثل وردة جورية تتفتح في بواكر الصباح.كان يسرق القبلات من خدها ويرسمها على جبينها وبذلك قد يكون فاز بحرب مسلوبة الراء.

عندما يضمها إلى صدره.. هنا يتوقف العالم لهم إذعانا بتنديد السلام معلناً انتصاره الأبدي.

العنوان: نجوم لطيفة

في ليلة ليلاء، ذات شتاء بارد ..قالت للنجوم عانقيني بأشد ما لديك من قوة حتى أشعر بالحمى .

لعل كوابيسي تنساني، واحضنيني لساعات طوال حد وجع أضلعي وشرياني.انهمرت في أحضانها من غير التفات، احتضنت النجوم قلبها بأشد ما لديها من قوة حتى ملأت عيناها النعاس .

العنوان: طيف

في آخر الليل يخفت ضوء القمر و يتفتح الصباح ليأتي إلينا يوم آخر .. نستيقظ كل يوم على أمل جديد و أفكار جديدة.. على صوت عصفور جميل يهرب من قسوة الشتاء ويأتي إلى مكان آخر يبحث فيه عن بيت آمن، تمعنت بذلك العصفور هذا الصباح فكان حائر لا يعرف أين يذهب، ينظر إلى أصدقائه أين يذهبون لكن هو بقي في مكانه.

فكل شخص منا مثل ذلك العصفور ينظر في الصباح إلى أين سيذهب و يفكر في المكان الذي يود ان يبني بيته فيه ،لعله يجد الأمان ولكن هيهات أن يجده لأنه شعور داخلي وليس بمجرد إيجاده لمكان آمن يشعر بذلك، لأن هناك أشخاص يشعروننا بالأمان أينما كان ذلك الإنسان حتى أثناء الحرب. فالطفل أمانه والدته أو والديه . فالإحساس بالأمان لا يأتي عن طريق المكان لأن هناك من يسكن منزلا" آمنا وفي مدينة آمنة لكنه يشعر بالخوف والوحدة. فما أصعب شعور الوحدة يا صديقي .. تكون بين الجميع وتظن نفسك وحيداً وحزيناً ولو كان الوسط يضج بالفرح والضحك.

العنوان: اسهار بعد اسهار

زارني الأرق ذات ليلة فاستقبلته بصدر رحب، لأنه زائري الدائم.
لكن هذه المرة كان ضيف ثقيل الظل.
بداية تحدثت معه واستمع إليّ بكل آذان صاغية وتجرعت من كؤوسه الكثير وتعلمت منه أكثر.
في منتصف الليل وحانت الساعة الواحدة، بدأت أشعر بالنعاس وأصبح ضيفي يقول لجفوني : اسهار بعد اسهار، مثلما تغني جارة القمر فيروز. جفوني لم تنصت له وأجابته فيروز نسمعها صباحاً، وسأنام الآن لا تزعجني أكثر وراحت تغفو بهدوء.
زائري احلوت له السهرة وأراد المبيت عندي، بعدها غلبني النعاس أخيراً ونمت نوماً عميقاً.
حينها غادر قسراً دون سؤال ولم أعلم كم كانت الساعة حتى !

العنوان: في الحافلة

لا تسألوا من يجلس بالقرب من النافذة ماذا يدور في باله، لأن وحده لا يعرف بالتحديد ماذا
يجول في خاطره.
تأخذه الطرقات إلى شواطئ الحنين وبحر الأشواق. حيث يمشي لاهثاً ليصل إلى عالمه الخاص. ففي الطريق إليه ارتطم بجدار الذكرى وأوقعه أرضاً.حينها توقفت الحافلة معلنةً الوصول إلى أرض الواقع.

العنوان: صحوة الحواس

لدي تراتبية للحواس معك، فأنا أبدو متعطشة لسماع صوتك كل ليلة.حين تتصل بي يغدو صوتك معزوفة موسيقية جميلة تريح النفس وتنعم الآذان لمسامعها.
فعند لقاءنا، كان النظر إليك إجابة عن بعض أسئلتي أما البعض الآخر أعرفه من عينيك التي لم يكن لها جفنان بل شفتان تبتسمان تبعث للقلب الطمأنينة. ما إن أجلس بقربك تجتاحني نسائم عطرك فأصبح ثملة وأهذي بكلامي. أثناء شربنا القهوة، كنت آخذ رشفة صغيرة وأتشرب ملامحك أيضاً لعلها تأتيني مسرعةً كلما حضرت في بالي لأتذكرها دائماً في ليلي ونهاري.
فنصف مذاق القهوة في من تجالس.أما بعد ذلك سألتني كيف أنت ؟ ..جاء صوتك وأعادني إلى حيث كنت، بعدها اقتربت يدك ولامست أصابعك راحة يدي وأخذت تلملم جراحي بين يديك.
حينها قلت : يداكِ وطن وأنا لاجئ إليك.
فكيف للمرء أن ينسى أثر الحب في الحواس؟

العنوان: صمت معلن

في بعض الأحيان قد لا تظهر قسوة التعب والألم النفسي على هيئة الأشخاص لكن تظهر في ملامحهم. قد يضحك أحدهم ويعلو صوت ضحكاته وبعدها تغدو نظرته حزينة ومن شدة القلق والسهر كاد الليل أن يقيم تحت عينيه طوال حياته؛ وبذلك تشتاق السماء إلى ليلها فطلبت منه العودة فرجع إليها لأنها موطنه الأول. أما صوته فبات مهشم لأنه اعتاد الكتمان حتى جهل كيف يبوح فكان يحسد الأطفال لأن لهم الحق في الصراخ ولم تروض الحياة حبالهم الصوتية بعد وتعلمهم الصمت.

أيضاً تبدو لك نظراته شاردة، فهو يرى من دون أن ينظر، ويداه تنطق من شدة ألمها دون بوح لسانه بعد، تبدو لك نحيلة وباهتة وأحياناً تزهر بالحياة حين نرى ماذا تفعل من خيرات رغم قسوة الحياة.

العنوان: عزاء أبدي

مرت العديد من الليالي وهي تُكابد المرض اللّعين بكل قواها وكانت تبتسم دائماً ويشعُّ وجهَها حبّاً لي وأنا في جوارها أشعر بالحزن على فراقها.

رغم أنها لم تغادر الحياة بَعد. وفي اليوم الذي استيقظتُ به ووجدتُها مُفارقة، انتابني الهلع، ودّعتني وهي مبتسمة.

كيف تجرؤ على تركي وحيداً، وهي تعلم بأنني عند التفكير بفقدانها أشعر بالخوف الغامر قلبي ..،فكيف وعند موتها الأبدي ؟؟ كيف فعلت ذلك !!

رجل ميت على قيد الحياة، فمن مات بالفعل هو أنا ومن المفترض أن تأتي التعازي لنا وليس لهُم، هم فارقوا الحياةَ وحَسب ولكن نحن نعيشُ صراعَ الموت ونحنُ أحياء.

العنوان: سراب

عدت من العمل متعباً وكان الجو مملاً لا يدعو للبهجة فقررت بأخذ دوشاً سريعاً لأخفف بعض الألم عن كاهلي.

بعد انتهائي،خرجت ووجدت الطعام الشهي جاهزاً على المائدة وهناك من ينتظرني لأتناول الأكل معه. انتهينا من تناول الغداء وذهبت لإعداد القهوة. بينما كنت جالساً على الأريكة أتأمل وأنعم بنسائم الهواء المنبعث من النافذة المطلة على الشاطئ الأزرق، أتت وجلست بجانبي وراحت تحدثني ..أنها طيلة فترة الصباح كانت منهمكة بكتابة روايتها التي أوشكت على نهايتها وتريد أن تطلعني عليها.

ازدردت فنجان القهوة دفعة واحدة وتسامرنا سوياً ورحت أتأمل عينيها التي تلمعان مثل حبات البن المحمص؛ بعدها زاغت عيني في الفناء وغفوت،لم توقظني من غفوتي وتركتني استريح، إنها لا تود إزعاجي.

طالت غفوتي للمساء ومضت ساعتين على نومي وفجأة استيقظت فزعاً من كابوس مزعج، ناديتها :أين أنت؟ لم تأت إجابة على سؤالي سوى الصدى.

ظننتها تلعب معي، بحثت عنها في أرجاء المنزل، لكن لم أجهدها.

عدت إلى أدراجي حزيناً وحيداً، أشعر أن البيت لم يتسع لحزني وألمي المرير على فقدانها.

كيف لها أن تلعب معي ؟

العنوان: سراب

أين الرواية التي ستطلعني عليها ؟

أين فنجان القهوة ؟

أخذت سيجارة وأشعلتها لأخفف عن نفسي وطأة الصدمة.

فجاء طيفها يطاردني في الغرفة وكنت اسألها ولم ترد علي.

كل شيء حدثتكم عنه كان حلماً، فأنا عدت إلى المنزل عند بزوغ شمس الصباح، منهكاً جداً وكنت أتحرك بصعوبة فاستلقيت على سريري وغفوت حالماً بها؛ يا ليت لم أنهض حينها.

من كنت أناديها هي زوجتي، حبيبتي،وطني وكل أشيائي لكنها سافرت إلى السماء منذ زمن.

لم أقل لكم حبيبتي الميتة لأني وبقولي هذا أكون خائناً لها ولحبنا فهي تحيا بداخلي ومعي وللأبد.

العنوان: القرب بالشعور لا بالحضور.

-لمْ يكُن البعدُ زاهداً بيننا، فعند اتصالكِ بي تتلاقى القلوبُ وتزداد الدقات ،فصدى صوتَكِ يحملُ إليَّ لهفةَ المسافاتِ وجمالُ كلماتَكِ يبعثُ إلى قلبي الدفئ. فالعازفُ يا عزيزتي لن ينسَ ألحانهُ ومقطوعاتهُ ..مهما انشغل عن العزفِ ،تبقى حاضرةً في باله .. يشتاقَها وتشتاقُه، فعند العودة لآلتهِ وبأول عناقٍ لهما ..تترددُ إلى مسامعكَ أجملَ ألحانِ الشَّوق بعد طولِ غيابٍ. فهما مثل أهدابِ العين بعدَ قضاء نهارٍ شاقٍ من العملِ وسهرِ ليلٍ طويلٍ ... تتشوقُ للنوم فما أَنْ تلبث إليه فتُراها تتعانقُ بشدة وتغفو.

أخطأ من قال إنَّ البعدَ يقاسُ بالمسافةِ والأميال بل إنما يقاس باللهفةِ والشّوق لعناقِ نظرة المحبوب قبلَ عناقه.

العنوان: أقوال في الحب

_قيل في الحب والتفكير، هناك فرق بين الرجال والنساء مسافة ما بين الأرض والسماء. منهم من يتألم حد العناء ومنهم من يعطي حد السخاء
هناك من ضحى بكل روحه ولقي شقاء وهناك من كان أنانيا" بلا عطاء أحدهم له في خلق العلاقات فن وذكاء فيخرج مع إحداهن ويقدم لها الهدايا والمشاعر حد الامتلاء ويعامل أخرى في لؤم وجفاء. منهم من تعيش في رغد وهناء وأخريات يقضون أيامهم مع من يحبون في ابتلاء ورجاء عسى أن يجدوا لألمهم دواء.

العنوان: سلام نادر

تعالَ لنتبادل السَّلام هذا الصّباح، بطريقة مختلفة عن العامّة. كُلٌّ منّا يمدُّ يدهُ اليُسرى للآخر و يبادلهُ السّلام بحرارة قلب.

لا تكترث إلى نظرات المارّة ولهرطقات العابرين مِن حولنا وعمّا يقولونه من كلام فارغ.

المهم أننا نعرف كم في قلبينا من حُبّ اللَّه، منحنا إيّاه لنحبّه ونُحب مَن حولنا..`

أُناس طيبين يدركون معنى الحُب الأسمى القابع في عمق القلب ويصل من القلب إلى القلب.

لا تلتفت حولك، دعنا نسترق الفرحة بلقائنا اللحظي هذا؛ الغير منتظر والذي جرى بيننا دون موعد مُسبق.

لا تهتم إلى بائع الحلوى وإلى رفيقك الذي ألقى السّلام عليك على عَجَل لأنني كنت برفقتك، دعهم وشأنهم.

فالكلام في حضرةِ الأحبّةِ حرامُ

والعيون بنظراتها تختصرُ الكلامُ .

-العنوان: أرض الحُب خصبة بالمشاعر

أتعلمْ !! .. هذه المرّة أُفكّر في ذاتي؛ شيء من هذا القبيل غريبٌ بالنسبة لي، دائماً كانت أفكاري تأخذني إليكَ ولأشياءَك وأبقى وفيةً لك هناك رغم كل جروحَك لي. لكن هذه المرّة سأحافظ على قلبي بقوّةٍ من حديد لعلّي أُسدد لهُ ديونَ الخساراتِ والآلام التي اقترفتَها بحقّهِ. نعم إنّهُ اقترافَ أخطاءٍ أو بالأحرى أضحَت ذنوباً صغيرة بحقِّ القلب الذي أحياه الرّب فينا كي نُحافظ عليه بمشاعرَ صادقة ونبقيهِ بصحة جيّدة، لا نؤلمهُ إلى حدّ جُرح ينزف دونَ توقّف. لذلك لم يعُد في جُعبتي الكثير من قمح فؤادي لإطعامك؛ ما كنتُ يوماً بخيلةً عليك، أمّا أنتَ فكنتَ فقيراً بعطاءِك، كنتَ تَقطُر من ماءِ نهرِكَ قطرة أو قطرتين على قلبي الذي رواك من ماءِ عينه وأنا التي كنت أُمطر وابل كلماتي من بئر غيمتي الزرقاء التي لا ينضُب غيثَها، فلا زرعي عاد ينبُت من ماءِ حُبّكَ ولا سحابتي تهطل على أرضِ قسوتِكَ. أتدري ... غالباً كنتُ أختلقُ لكَ الأعذارَ وأزرعُها في تربتي الصّالحة للحُب ولكن خذلانكَ وخيانتُكَ لحبي جعلوها أرضاً مسمومةً لا تصلُح لزرعِ بذورٍ جديدةٍ ترتوي من نبعِ سراب.

العنوان : أمي يا ملاكي

حروفُ الأبجديّة قليلةٌ في وصفك. لو كتبتُ الكثيرَ من الجمل والأمثال عنك لا تعبر بشكلٍ كافٍ عن عطاءك. فأنت نهر لا يجفَّ ولا ينضُب ماءه وستبقين شمساً مضاءة تُنير دروبنا أملاً وضياء. كل الكلام والأوصاف لا تعبر عنك.الأم شبيه الوطن فهي تحضن أطفالها وتهز السرير في يمينها والعالم بشمالها.

إهداء إلى أمي الغالية

العنوان : اللغة أنتِ

أنتِ ممنوعةٌ من الصّرفِ وإن جاءوا إليكِ بالإعراب فأنتِ تجزمين وتنصبين ما بعدك.

ِأنتِ الفعلُ والفاعل والمفعول.

وإن كنتِ الفعلَ، ستكونين في كلّ أزمنته حاضرةً في زمانكِ وماضيكِ ومستقبلك.

فأنتِ اللحظةُ الرّاهنة من كل وقت والبارحةُ والآن والغد وبعد غد.

أنتِ كلّ حروف الجرِّ، تقودين وراءك جنوداً من الكلماتِ وهيهات أن يقودكِ ملكاً أو جيشاً من الغُزاة.

إهداء إلى أختي الكبرى..غنوه.

العنوان: ثكلى القلب

على الأريكة العريضة التي تتوسط غرفة نومها، حاولت دينا الاسترخاء وراحت تتلو سورة الإخلاص بهدوء، لعل أفكارها تهدأ في رأسها.

أمّ ثكلى فقدت طفلها الأول ذو العشر سنوات بحادث سير مريع، تمنت آلاف المرات لو كانت هي من حدث لها ذلك وماتت ولم تشعر بشيء الآن، لكن هذا من المستحيل أن يحدث.

طفلها آلان فارق الحياة وحسب منذ عام ودينا لم تصدق الحقيقة بعد. فكل دموع الأرض لا تقدر أن تواسي ألم الفراق والحنين لرؤيته.لولا انشغالها في متجر الألعاب أثناء شرائها له لعبة عيد الميلاد، وغفل عنها وفرّ إلى الخارج وركض مسرعاً وحدث ما حدث،

لما فقدته منذ عام، وكانت اليوم تداعبه بين ذراعيها وتشم رائحته وتشذب شعره وتلبسه ثوب النوم في مثل هذا الوقت من الليل.

الساعة الثامنة مساءاً لازالت مستلقية وعيناها غائرتان في وجهها،ترثي ولدها.

كل جوارحها وخلاياها جامدة في جسدها، تقوم بعملها الفيزيولوجي ولكن خالية من الروح ..خالية من الحياة. عيناها تشتعل من الحرقة ودموعها على خدودها من كثر مابكت صغيرها الوحيد منذ الحادثة إلى الآن.

كانت جميع وجباتها دموع وحسرات، ندم وألم فراق، تتجرعهم بالكؤوس وتسكبهم في الصحون.

العنوان: ثكلى القلب

على مدار العام دخلت إلى المستشفى ستة مرات لسوء حالتها الجسدية والنفسية. فكان يوضع لها السائل المغذي عبر الأنبوب المعلق في وريدها وتدخل حالة سبات. منذ عشر سنوات دينا شعرت بألم الفقد عند وفاة زوجها، حيث كانت تحمل صغيرها بين أحشائها وهي في شهرها الثامن؛ أثناء ولادة آلان شعرت بأن الحياة أهدتها إياه لتفرحها من جديد وأكرمها الله به كي لا تبقى وحيدة.

لو أن الله أماتها وأبقى آلان على قيد الحياة،لكان يتيم الأب والأم وسيعيش حياة بائسة من دونهما ولا يقدر على ذلك. ومن الممكن أنه كان سيفكر بالانتحار أو سيشعر بمشاعر الفقد واليتم في عمر صغير الذي لا يقدر قلبه على تحملها وسيبقى شقيا ً طيلة حياته.

العنوان: ليلٍ مُقمرٍ

كنتُ أمشي في الطريقِ وحيدةً، قلقةً بعض الشيء؛ أهمسُ في نفسي: أنَّنا نحنُ مَنْ يصنع المستقبل، وعليَّ أن لا أستسلم. واصلتُ طريقي حتى اقتربتُ من الشاطئ، تأملتُ سحرَ البحرِ، بهدوءهِ تارةً وعنفوانهِ تارةً أخرى.

فكم هو عميقٌ من الداخل ومنظره للعامّة يبعث للنفس الطمأنينة. لا تزال فقاعات الزّبد تتكسر على الرّملِ وتضرب قدميّ بكل لطفٍ وألقت على الشط بعض طحالب بنيّة، والأصداف كانت تلمع تحت ضوء القمر. سمعتُ صوت أقدامٍ بخطواتٍ خفيفة تقتربُ منّي، التفتُّ وإذ بقربي شاباً وسيمَ الوجهِ، يبتسم ويضع يده اليسرى خلف ظهره وأصبح يقترب أكثر وقال: لا تخافي جئتُ لأَجلكِ. تفاجأت ورجعت خطوة للوراء وقلت بتردد: من أجلي أنا؟؟ وكيف تعرفُني ؟ أجاب بكل ثقة: أنا صاحب العيون ذو لون البُّن المحمّص الذي وصفته في نصك الأول. أجبته ضاحكةً: يا أهلاً ومرحباً بك. أنت تمزح .. صحيح ذلك!!

قال بلطف: لا ..كنت أراقبك منذ مدّة، تأتين مرةً كلَّ أسبوع وتتأملين البحر أثناء الغروب وتعودي أدراجَك فرحةً. وتكتبين دائماً في نصوصك عن الشاب الوسيم الذي التقيته صدفةً وأخذ حيّزاً من قلبَك بصدقه وحسن خُلقه وذو عينان بلون البنّ. أليس كذلك ؟

أومأت برأسي له بالإيجاب.

العنوان: ليلٍ مُقمرٍ

أردف قائلاً: ها أنا حققتُ لكِ بالمصادفة القدريّة ما تكتبين بين سطوركِ يا عاشقةَ الوردِ.

قلت له: قُل ما عندك.

اقترب ليبادلني السّلام، فعند ملامسة يدي بيده سرَت في عروقي قطرات الفرح، ظنّنتُ وكأنني في حلم؛ ضغطَ قليلاً على يدي فشعرت بحرارة الحب التي في قلبه. وبعدها قدم لي وردة زرقاء، وقال: هذه لك يا جميلتي. احمرّت وجنتايَ خجلاً وابتسمت بلطف. تابع قائلاً: الوردُ الأحمر يا عزيزتي سأتركه للمحبين العاديين، أمّا نحن عاشقين نادرين نحبّ بعمق هذا البحر؛ فشعور الحب عميق بعمق هذا البحر الغريق. أضفتُ بدوري قائلةً بكل ثقة: ما كلُّ مَنْ ذاقَ الهوى، عرِف معناه. فأمسك بيدي وقبّلها وأكملنا الطريقَ معاً نتهامس بيننا كلمات الحُبّ الرقيقة.

العنوان: اللقاء المنتظر

في غرفة الجلوس، كانت توليب تقرأ رواية "غربة الياسمين" تستمتع في قراءة أحداثها.

واصلت القراءة لمدة ساعة أو أكثر بقليل ثمّ شرعت إلى غسل الأطباق، دخلت المطبخ وقامت بإشغال الراديو لتستمع إلى الموسيقى فتراءت إلى مسامعها أغنية الموسيقار الكبير ملحم بركات...فتقول الأغنية: ياحبيبي حبك حيرني ..حيرني حبك.

إنت غيابك طال وأنا حالي حال

قلبي ناطر ياحبيبي ولا غيرك عالبال.

وفي هذه اللحظات، كانت تسرح في خيالها وتعاتب حبيبها على غيابه المبرر بالنسبة لها في كوكب الحب الذي لم يلتقيا به بعد ولكن هي على يقين أن لقائهم قريب.

في الصباح قرأت اقتباس لباولو وأثار اعجابها وشعور الاطمئنان والقوة في قلبها، فيقول كويلو: إن الكون كله يطاوعك لتحقيق شيء أنت مؤمن به.

تعرف أنّ طاولة لقائهم مازالت شجرة في أرض الانتظار القدري، لكنها على يقين بأن هذا اللقاء قريب وستغدو كل الأشجار طاولات حين سيلتقون.

العالم سيكون في أحلى حلة والكون كله طواعية لهم لأن الحبّ سيغمر أي مكان يتواجدوا العشاق به.

العنوان: العود الطروب

تُغني جارة القمر في أغنيتِها.. " نَسمَتْ" ..هو سمّاني أنا أغنيةً ليت يدري أنّه العودُ الطروبُ

ولكن أنا سأقول لكِ..أنتِ الأغنية والعود الطروبُ

صُوتك يملأ الفناء بالشروقِ والغروب

يبعثُ للروح الفرح والحنين ويجولُ بين الدّروب لو بعدت المسافات.. يكاد صوتك يقرّب بين القلوب

فالعاشق يا حبيبتي يسافرُ إلى مدينة صوتك بحالة الهروب

تاركاً أثر الفراشة عند كل محبوب.

إهداء إلى صاحبة الصوت الحنون أختي..غيداء.

العنوان: كيف لي ؟

كيف لي أن أحسب أنك بخير يابعيداً عن الأنظار كيف لي أن أعرف أخبارك يا كاتم الأسرار

كيف لي أن أدري بآلامك وأنت ثابت القوام كيف لي أن أرى حزنك وأنت دائم الابتسام كيف لي أن ألتمس ندوبك يا خافي الجروح كيف لي أن أسمع صوتك وأنت بالوجع لا تبوح متى يصل النديم إلى رشده وهو كثير العويل ومتى يعود الحبيب من غربته وهو فاقد السبيل

أيعقل أن يضل النديم نديما والحبيب دون سبيل..

العنوان: حلم يقظة

كتمتُ حبك حتى أضرّبي الكتمُ
حاولتُ رسم ملامحك فضاع مني القلمُ
بدأتُ أكتبك فرحتُ أجهل الرسمَ
سألتُ عنك العرافين فنسوا العلمَ
سئمتُ من الانتظار فأخذت موعداً مع الحلمَ
نمتُ حالماً باللقاء بك لعلي أنسى الألمَ
استيقظتُ ورعاً فذهب الحلمُ وبكيتُ ندمَ
فتمنيتُ أن ألتقي بك لعلي أجد للجرح بلسمَ.

.

العنوان: أنتِ أنا

إن كنت شمساً فأنا قمرك
وإن كنت سماءاً أنا نجمك
إن كنت مطراً أنا أرضك
وإن كنت فراشةً أنا زهرك
إن كنت بحراً أنا شاطئك
وإن كنت سجناً أنا سجانك
إن كنت حرباً أنا جيشك
وإن كنت سلاماً أنا شعارك
إن كنت ملكةً أنا تاجك
وإن كنت شجرةً أنا ظلك
إن كنت غربةً أنا وطنك
وإن كنت أنا فأنتِ أنا.

العنوان: الدّاء والدواء

هناك رفيق في الغربة ودود
وقريب بنى بيننا وبينه حدود
وصديق في الحرب لم يعود
وحبيب تمادى في الصدود
فكم من إمرء في الحب سعيد
وكم عزيز في الغربة بعيد
كم من رفيق في الحرب شهيد
وكم من حبيب في الهوى فقيد
ففي غياب الأحبة نصاب بكربة
الداء
وحين اللقاء تزول العلل دون
دواء
فالحب ياعزيزتي هو الداء
والدواء.

العنوان: ساهرا ًمع القمر

نام الليل تحت عيونه وطال به السهر
تأمل النجوم لساعات طوال دون ضجر
استرجع ذكريات الماضي ساهرا ً مع القمر أشاح
بعينيه حوله ولم ير إلا ظلام و شجر فالبيت صحراء
بغياب المحبوبة ولو كان قصر والأيام برغم كل
شيء إلا هي..فقر
آملاً اللقاء بها ولو ساعة من العمر
لا يبالي بالمكان ولو كان على الصخر
فراح به السهر حتى مطلع الفجر
فكيف سيكون بغيابها الحال بعد شهر ؟؟

العنوان: قلوب متصدعة

يارفاقي.. أرثي لكم المدن المنكوبة
والأراضي المسلوبة
والبيوت بكل أثاثها مقلوبة
والنوافذ بالرصاص مثقوبة
وصناديق النقود منهوبة
والأطفال كانت في ساحة القرية لعوبة
ضاع مستقبل الشباب والأحلام المرغوبة
فعودة الزمان الجميل كانت أكبر أكذوبة
الخوف زعزع الأمان والقلق يضمر القلوبا
والبرد ينهش أجسادنا ويدخل المنازل من كل الثقوبا
العصفور يغرد بحزن وشجن لكنه دائم الهروبا
ودماء الجرحى تسيل على الأرصفة والدروبا
الأمهات ثكالى تندب أبنائها الذين كانوا بالأمس يخوضون الحروبا
الآباء غارت عيونهم من شدة التعب ولم يجدوا للراحة ملعبا
والفتيات كنا يدرسنا في شهرنا الحالي الكتبا
فتيان بعمر الورد ماتوا والفرح معهم ذهبا
والعيون الساهرة من وجعها ..ما وجدت للنوم مهربا

العنوان: قلوب متصدعة

والحال مستور يعيش الإنسان هنا ونفسي منه تتعجبا
والمؤمن برب العباد سيستجاب دعائه في الوقت المناسبا
فالشمس كل يوم ستعود وتشرق بعد كل مغربا.

وشكراً

إلى الله الكريم الذي وهبني مهارة الكتابة.

إلى فريق دون للأدب (علي الصاري،دلع شنّان، مجد الشبلي، زهراء يحيى)

إلى كل أصدقائي الكتاب في الفريق.
شكراً إلى كل من قرأ الكتاب ..أنا ممتنة لكم ولوقتكم.
بقلم ساره عزام💙